الفصل الرابع

النصوص الواردة في الموضوع ودلائلها

ويشمل على مبحثين :

المبحث الأول : الأحاديث تخريجها ودلائلها .

- **المطلب الأول :** الحديث الأول ودلالته .
- **المطلب الثاني :** الحديث الثاني ودلالاته
- **المطلب الثالث :** أحاديث خروج المهدي ودلالاتها .

المبحث الثاني : الشواهد القرآنية .

المبحث الأول

الأحاديث تخريجها ودلالاتها

يقرر الرسول ـ ﷺ ـ حقيقة تغير المناخ على مرِ العصور ، وحقيقة ماضي أرض العرب ومستقبلها في مجموعة من الأحاديث ، أوردها في ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

الحديث الأول

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : " **لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً** " (١) .

معاني مفردات الحديث :

المروج في اللغة :

مصدر مرج . المَرْجُ :الفضاء، وقيل :المَرْجُ أَرضٌ ذاتُ كَلإٍ تَرْعَى فيها الدوابُ ؛ وفي التهذيب : أَرضٌ واسعةٌ فيها نبت كثير تَمْرُجُ فيها الدوابُّ ، والجمع مُروجٌ .

قال الشاعر: رَعَى بهـا مَرْجَ رَبيـعٍ مَمْرَجا

وفي الصحاح : المَرْجُ الموضع الذي تَرعى فيه الدوابُّ . و مَرَجَ الدابَّةَ يَمْرُجُها

---

(١) (الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، [٧ / ٩٨ ، ٩٩ الحديث رقم (٢٣٣٦)] . وقد رواه ابن حبان بلفظ (لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج ، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً) الحديث (٦٧٠٠) الجزء / ١٥ص٩٣) . ورواه أحمد في المسند بلفظ : " لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق ، وحتى يكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج يا رسول الله، قال : القتل " (الحديث رقم (٨٨١٩) (الجزء والصفحة ٢ / ٣٧٠) . ورواية أخرى : " لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا وحتى يكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟ ، قال: القتل القتل " الحديث (٩٣٨٤) ، الجزء والصفحة (٢ / ٤١٧) .

إذا أرسلَها تَرعى في المرج . وأَمْرَجَها: تركها تذهب حيث شاءت؛ وقال القتيبي: مرج دابته خَلاَّها ، و أَمْرَجَها : رَعاها. وإبلٌ مَرَجٌ إذا كانت لا راعي لها وهي ترعى . ودابة مَرَجٌ ، لا يثنى ولا يجمع .

وأنشد : في رَبْرَبٍ مَرَجٍ ذَوات صَياصِي

وفي الحديث وذكر خيل المُرابِط، فقال : طَوَّلَ لها في مَرْجٍ ؛ المَرْجُ : الأَرضُ الواسعةُ ذاتُ نباتٍ كثير تَمْرُجُ فيها الدوابُّ أَي تُخَلَّى تسرح مختلطةً حيث شاءت[1] .

المقصود بأرض العرب :

أولاً : الجزيرة العربية :

المقصود بأرض العرب ، عند الصحابة ﷺ والتابعين وتابعيهم ، ومن غيرهم من الفقهاء والمحدثين وأهل التاريخ والسير واللغة ، أن المقصود بأرض العرب هي أرض الجزيرة العربية . وقد تبين ذلك من خلال كلامهم وتصريحاتهم ، وهذه بعض الأقوال الواردة عنهم :

جاء في السنن الكبرى للبيهقي ما نصه : " فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ثم خرجنا مع رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادي القرى فذكر الحديث في فتح وادي القرى قال فأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام وقسم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى وترك الأرض والنخل بأيدي زفر وعاملهم عليها فلما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرج زفر خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام ونرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز وأن ما رواء ذلك شام قال الشيخ هذا الكلام الأخير أظنه من قول الواقدي ... وعن مالك بن

---

(١) (لسان العرب (٢ / ٣٦٤) .

أنس رضي الله عنه : أن جزيرة العرب المدينة ومكة واليمن فأما مصر فمن بلاد المغرب والشام من بلاد الروم والعراق من بلاد فارس "[١] .

قال مالك : إنما أجلى أهل نجران ولم يجلوا من تيماء لأنها ليست من بلاد العرب فأما الوادي فإني أرى إنما لم يجل من فيها من اليهود أنهم لم يروها من أرض العرب "[٢] .

" قال الشافعي وإن سأل من يأخذ منه الجزية أن يعطيها ويجري عليه الحكم على أن يسكن الحجاز لم يكن ذلك له والحجاز مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها كلها ثم قال الشافعي ولم أعلم أحدا أجلي من أهل الذمة من اليمن وقد كانت بها ذمة وليست اليمن بحجاز فلا يجليهم أحد من اليمن ولا بأس أن يصالحهم على مقامهم ظاهرا قال الشيخ قد جعلوا اليمن من أرض العرب والجلاء وقع على أهل نجران وذمة أهل الحجاز دون ذمة أهل اليمن لأنها ليست بحجاز لا لأنهم لم يروها من أرض العرب والجلاء في الحديث تخصيص وفي حديث سمرة عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه دليل أو شبه دليل على موضع الخصوص والله أعلم[٣] .

"وقال الخليل بن أحمد سميت جزيرة العرب لأن بحر فارس وبحر الحبشة والفرات ودجلة أحاطت بها وهي أرض العرب ومعدنها وقال الأصمعي هي ما لم يبلغه ملك فارس من أقصى عدن إلى أطراف الشام وقال أبو عبيد من أقصى عدن إلى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من الساحل إلى أطراف الشام عرضاً . وقال الأصمعي جزيرة العرب : ما بين أقصى عدن أبين إلى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها إلى أطراف الشام عرضا وسميت جزيرة العرب لإحاطة البحار بها يعني بحر الهند وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الحبشة وأضيفت إلى العرب لأنها كانت بأيديهم قبل الإسلام وبها أوطانهم ومنازلهم لكن الذي يمنع المشركون من سكناه

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٩ / ٢٠٨) وماقبلها .

(٢) سنن أبي دواود (٣ / ١٦٦) .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٩ / ٢٠٩) .

منها الحجاز خاصة وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب لاتفاق الجميع على أن اليمن لا يمنعون منها مع أنها من شبه جزيرة العرب هذا مذهب الجمهور وعن الحنفية يجوز مطلقا إلا المسجد وعن مالك يجوز دخولهم الحرم للتجارة وقال الشافعي لا يدخلون الحرم أصلا إلا بإذن الإمام لمصلحة المسلمين خاصة "[١] .

" **عن مالك قال** : أرض العرب مكة والمدينة واليمن وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام عن الأصمعي قال جزيرة العرب من أقصى عدن أبين الى ريف العراق في الطول وأما في العرض فمن جدة وما والاها من سائر البحر ، إلى أطراف الشام . قال أبو عبيد وقال أبو عبيدة : جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسى ، إلى أقصى اليمن في الطول ، وأما في العرض : فمن بير يبرين إلى منقطع السماوة . وقال يعقوب ابن شيبة : حفر أبي موسى على منازل من البصرة في طريق مكة خمسة منازل أو ستة . وقال بشر بن عمر : قلت لمالك : إننا لنرجو أن تكون من جزيرة العرب يريد البصرة لأنه لا يحول بيننا وبينكم نهر ، فقال ذلك إن كان قومك تبوؤوا الدار والإيمان قال أبو عمر رضي الله عنه : قال بعض أهل العلم : إنما سمى الحجاز حجازا لأنه يحجز بين تهامة ونجد وإنما قيل لبلاد العرب جزيرة لإحاطة البحر والأنهار بها من أقطارها وأطرارها فصاروا فيها في مثل جزيرة من جزائر البحر "[٢] .

وهناك أدلة أخرى ، ولا مخالف في المسالة فيما أعلم . والله أعلم .

فأرض الجزيرة من الشام شمالاً إلى حدود البصرة ، وإلى عدن جنوباً ، ومن البحر الأحمر شرقاً إلى بحر الخليج غرباً هي حدود أرض العرب ، المعروفة .

---

(١) فتح الباري (٦/١٧١) .

(٢) التمهيد لابن عبد البر(١/١٧٢) .

ثانياً : الوطن العربي الكبير :

ولكن أرض العرب اليوم ، أوسع من أرض الجزيرة بكثير ، فهي تضم اليوم ٢٢ دولة عربية تمثلها هيئة اعتبارية هي الجامعة العربية .

ويحتل الوطن العربي موقعا استراتيجياً هاماً في العالم نظراً لموقعه الفلكي والجغرافي ومساحته الكبيرة .

فأما موقعه الفلكي : فيقع في نصف الكرة الشمالي ، ويمتد بين دائرتي عرض ٢° جنوباً ، ٣٧° شمالا ، (٣٩° عرضية) ويمتد بين خطي طول ١٧° غرباً ، ٦٠° شرقاً (٧٧° طولية) ؛ ويمر خط العرض الرئيسي (الاستواء) في دولة عربية هي الصومال ؛ ويمر خط الطول الرئيسي (جرنيتش) في دولة عربية هي الجزائر .

وأما موقعه الجغرافي : فيحده من الشمال البحر المتوسط وجبال طوروس وهضبة الأناضول . ومن الجنوب المحيط الهندي وبحر العرب ، وهضبة الحبشة ، وهضبة البحيرات ، وهضبة الصحراء الكبرى . ومن الشرق : الخليج العربي وخليج عمان ، وبحر زاجروس وكردستان . ومن الغرب : المحيط الأطلنطي . ويقع الوطن العربي ضمن قارتي آسيا وإفريقيا ، ويربط بين قارات العالم القديم ، آسيا وإفريقيا وأوروبا ، ولهذا أطلق عليه الجسر الأرضي العظيم وتبلغ مساحة الوطن العربي : حوالي ١٤ مليون كم٢ ، وتبلغ نسبة مساحة الوطن العربي بالنسبة للعالم ١٠,٢٪ إذ تبلغ نسبة الجناح الآسيوي ٢٨٪ بينما ، تبلغ نسبة الجناح الأفريقي ٧٢٪ [١] .

شرح الحديث ودلالاته :

قد دل حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - على الآتي :

[١] تدل لفظة " تعود " على ظاهرها بأن أرض العرب ستكون في المستقبل وقبل قيام الساعة مروجاً وأنهاراً ، كما تدل : أنها كانت فيما مضى مروجاً

---

(١) انظر : جغرافية الوطن العربي ، دائرة المناهج والتقنيات التربوية ، وزارة التربية والتعليم الجمهورية اليمنية .

[٢] دل النص على أن الزمن الذي تكون فيه أرض العرب مروجاً وأنهاراً أنه قرب قيام الساعة ، لاسيما إذا أخذ هذا الحديث وفسر في ضوء تلك الأحاديث الواردة عن فترة آخر الزمان ، وظهور المهدي عليه السلام ، وأن الأرض في تلك الفترة ستخرج كنوزها وخيراتها ، وإذا ارتبط حدوثه مع النص الذي قبله ، من كثرة المال وفيوضه حتى لا يقبله أحد لاستغناء الناس حينئذٍ عنه لوفرته في هذه الفترة ، أو لزهدهم فيه لتأكد قرب الساعة في قلوب الناس وزهدهم في الدنيا ، أو لكلا الأمرين معاً .

قال الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث :(قوله ـ ﷺ ـ: **حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، معناه والله أعلم : أنهم يتركونها ويعرضون عنها فتبقى مهملة لا تزرع ولا تسقى من مياهها ، وذلك لقلة الرجال وكثرة الحروب وتراكم الفتن وقرب الساعة وقلة الآمال وعدم الفراغ لذلك والاهتمام به**)[1] .

وقال القرطبي : " وتنصرف دواعي العرب عن مقتضى عادتهم ، من انتجاع الغيث والارتحال عن المواطن ، للحروب والغارات ، ومن عزة النفوس العربية الكريمة الأبية ، إلى أن يتقاعدوا عن ذلك فيشتغلوا بغراسة الأرض وعمارتها وإجراء مياهها كما قد شوهد في كثير من بلادهم وأحوالهم حتى يهم رب المال قال النووي ضبط بوجهين أحدهما وهو الأجود والأشهر بضم الياء وكسر الهاء ويكون رب المال منصوبا مفعولا والفاعل من يقبله أي يخزنه ويهتم له والثاني بفتح الهاء ويكون رب المال مرفوعا فاعلا أي يهم رب المال بمن يقبل صدقته أي يقصده لا أرب لا حاجة)[2] .

فقد فسر القرطبي عودة أرض العرب ، بخلاف ما ذهب إليه النووي ، فقد فسر عودتها ، مروجاً وأنهاراً ، بغراستها وعمارتها ، وإجراء مياهها ، بخلاف إهمالها . وأرجع الإمام النووي عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، إلى عدم الاهتمام بها

---

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٩٩) ، للإمام محيي الدين النووي المتوفي٥٧٦هـ ، تحقيق: الشيخ/ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ، ١٩٩٥م .

(٢) الديباج (٣ / ٨٤) . لعبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي . المولود ٨٤٩هـ والمتوفي ٩١١هـ ، دار بن عفان ، الخبر السعودية ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ، تحقيق : أبو إسحاق الحويني الأثري .

وبزراعتها ، والمعنى عنده والله أعلم: أنها تترك حتى تمتلئ بالجنات والبساتين ، وهذا أمرٌ بعيد ، إذ لا يمكن أن تكون كذلك في حالة الإهمال ، لأن الاهتمام بالأرض ، يؤدي إلى زيادة ثمرتها واخضرارها .

فلا يكون معنى عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، ما ذهب إليه القرطبي ولا النووي في إرجاع عودتها ، إلى ما ذكرا .

ولا أيضاً ما ذهب إليه بعض المتأخرين في زماننا [١] ، من تفسيرهم لعودة أرض العرب مروجا وأنهاراً ، باستصلاح أراضيها وزراعتها ، وإخراج مياهها من باطنها ، أو إجراءه على ظهرها كما فعله أحد حكام العرب ، أو كما يفعله الناس في هذه الأيام ، من حفر الآبار الارتوازية ، وإخراج الماء من باطن الأرض ، وسقي المحاصيل الزراعية به .

ثم إن الحديث قد ذكر فيوض المال، حتى لا يقبله أحد . ولا يكون فيما ذكره الإمام النووي والقرطبي ولا بعض المتأخرين في زماننا ، تفسير معنى " تعود " فليس في كلامهم ما يتضمن اعتبار معنى هذا اللفظ ، الذي يدل على أنها كانت مروجاً وأنهاراً ، في زمن سابق ،وأنها ستعود كذلك، وتفسير هذا لا يرجع إلى عمل الناس واهتمامهم بالأرض ، أو بإهمالهم لها ، بل الحديث يشير إلى ارتباط ذلك بظاهرة كونية وهي التي نعبر عنها (بتغير مناخ الأرض)، فهذا هو التأويل الصحيح لنبوءة النبي ـ ﷺ ـ وهذا هو الذي يشعر به ويدل عليه ، إذ قال النبي ـ ﷺ ـ : " **لا تقوم الساعة ، حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً** " ففي هذا الأسلوب والتعبير البليغ ، أبلغ إشارة وأوضح دلالة على ارتباط ـ عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً ـ ، بأمر كوني وسُنَّة إلهية ماضية على الأرض ، لا دخل لاهتمام الناس وعدمه في ذلك . هذا هو معنى الحديث وما يدل عليه ؛ وهو المعنى الذي تقطع به الحقائق العلمية اليوم .

---

(١) انظر كتاب : علامات قرب الساعة الصغرى والكبرى .

ومن الدلائل على هذا المعنى من الحديث أيضاً : العموم في قوله ـ ﷺ ـ (**تعود أرض العرب ، مروجاً وأنهاراً**) ، فهذه العودة تتعلق بأرض العرب بأكملها ـ مع اعتبار المقصود بأرض العرب ـ لا بجزء منها ، أو بعض مناطقها ، مما لا يتوافق مع ما ذهبوا إليه ، إذ ذلك ـ لو صح ـ فإنه يتعلق ببعض الأماكن المحدودة ، لا بأرض العرب ، ولا يصدق هذا التعبير (مروجاً وأنهاراً) على ما فسرت به العودة ، إذ لا يمكن لتلك الأحوال القليلة النادرة في أرض العرب أن توصف بالمروج والأنهار ، ولو وصفت بهذا الوصف بناء على التفسير المشار إليه من تفسيرهم ، لكان وصفاً خاطئاً غير صحيح ، فأرض العرب اليوم لا يصدق عليها المروج والأنهار ، لأنها إلى الآن أرض صحراوية جافة في أغلب مناطقها . والأراضي الخضراء فيها قليلة متناثرة ، وهي موجودة في وقت سابق ، فلا تتعلق النبوءة بهذا التفسير ، نعم قد يكون ذلك التفسير عاملاً ثنائياً ، لكنه ليس التفسير العام للعودة .

ولو كان المعنى الذي ذكره الإمام النووي : أنها تترك وتهمل في آخر الزمان وقرب الساعة ؛ لقلة الرجال وكثرة الحروب وتراكم الفتن وقرب الساعة وقلة الآمال وعدم الفراغ لذلك والاهتمام به ، أن تكون هذه الأحوال حال عودتها في ذلك الوقت ، لا بفعلهم واهتمامهم، وإنما بأمر آخر يرتبط بتغير المناخ وكثرة الأمطار،ونزول الخيرات ، وإخراج البركات ، مما يطمع العدو المحارب فيها (أي أرض العرب) ، لكان المعنى صواباً ، بإذن الله . لاسيما إذا نظرنا إلى الروايات الأخرى للحديث ، عند ابن حبان " **لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج ، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً** " فذكر كثرة الهرج ، وهو القتل ، كما جاء مبيناً ذلك في الأحاديث الصحيحة ، فلعل هذا الهرج ، حال عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، أو قبل ذلك بقليل ، أو بعده بقليل ، والظاهر من الرواية أنه قبله ، أو متزامناً معه .

وأما في رواية الإمام أحمد بلفظ " **لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب**

مروجاً وأنهاراً ، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق وحتى يكثر الهرج ، قالوا وما الهرج يا رسول الله ، قال : القتل " والرواية الأخرى :" لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا ، وحتى يكثر الهرج قالوا وما الهرج يا رسول الله قال القتل القتل " يكون المراد ـ والله أعلم ـ : أن أرض العرب حال عودتها مروجاً وأنهاراً ، وما يتخلل ذلك من أحداث وفتن وحروب ، متزامنة مع حال عودتها أو في بدايته أو عقب ذلك، كما دلت عليه رواية ابن حبان ، ثم بعد ذلك تنتهي الحروب ، وتخمد الفتن ، ويسود الأمن ، حتى يصير الراكب بين العراق ومكة ، لا يخاف إلا ضلال الطريق ، فهذه الحال تكون بعد تلك الفتن والمعامع والأحداث،التي وردت بها رواية ابن حبان والروايتين عند أحمد، والله أعلم .

وأما رواية مسلم مع رواية أحمد التي تذكر فيوض المال : فإنها تدل على حال الناس في زمن المهدي ـ عليه السلام ـ وقد عادت أرض العرب مروجاً وأنهاراً ،والعدو راغم ، والخير فائض، والأمن سائد، والبركات نازلة، والرغبة عن المال والدنيا ، وعدم انشغال الناس بها ، لاهتمامهم ، بأمور الآخرة التي قد ظهرت بعض علامتها الكبرى . فقد وردت أحاديث صحيحة مصرحة بهذه الحال في زمنه ، كما سيأتي ذكرها ـ إن شاء الله ـ والله أعلم .

المطلب الثاني

الحديث الثاني

عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال : خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ عام غزوة تبوك ، فكان يجمع الصلاة ، فصلى الظهر والعصر جميعاً ، والمغرب والعشاء جميعاً ، حتى إذا كان يوماً أخَرَ الصلاة ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك ، فصلى المغرب والعشاء جميعاً ، ثم قال : " **إنكم ستأتون غداً ، إن شاء الله ، عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحيَ النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي** " فجئناها وقد سبق إليها رجلان ، والعين مثل الشراك تَبِضُ بشيء من ماء ، قال : فسألهما رسول الله ـ ﷺ ـ :" **هل مستما من مائها شيئاً ؟** " . قالا : نعم ، فسبهما النبي ـ ﷺ ـ ،وقال لهما ما شاء الله أن يقول . قال : ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً ، حتى اجتمع في شيء ، قال : و غسل رسول الله ـ ﷺ ـ فيه يديه ووجهه ، ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء منهمر ، أو قال غزير ، شكَ أبو عليَ أيهما قال ، حتى استقى الناس ، ثم قال :" **يوشك ، يا معاذ إن طالت بك حياة ، أن ترى ما ها هنا قد ملئ جناناً** " (١) .

وفي رواية في موارد الظمآن (٢) " قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " **يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد عاد جناناً** " (٣) .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه . في كتاب / الفضائل ، باب : في معجزات النبي ـ ﷺ ـ الحديث رقم (٥٩٠٦) . ورواه ابن حبان في صحيحه الحديث رقم (٦٥٣٧) . ومالك في موطئه (/١الحديث (٣٢٨) . وأحمد في مسنده (/٥الحديث رقم (٢٢١٢٣) .

(٢) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان : الحديث رقم (٥٤٨) . للحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي ، حققه محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(٣) وهو حديث صحيح ، رواة هذه الروايه كلهم ثقات من رجال الصحيح .

شرح الحديث ودلائله :

هذا الحديث قد احتوى على عددٍ من المعجزات ، والتي تحقق بعضها في زمنه ـ ﷺ ـ في تلك الغزوة . في حين ادخر البعض الآخر لتكون معجزة لنا ولغيرنا ممن سيدرك ذلك الزمان .

أما المعجزة الأولى :

فهي إخباره ـ ﷺ ـ لهم بأنهم إن شاء الله سيأتون غداً عين تبوك ، وأنهم لن يأتونها حتى يضحى النهار، وهو لا يعلم أين تقع عين تبوك ولم يصل إليها ، ثم تأكيده أنهم لن يأتوها حتى يضحى النهار، وفعلاً لم يأتوها إلا وقد أضحى نهار يوم غدٍ.

المعجزة الثانية :

هي تكثير الماء ببركته ـ ﷺ ـ حتى جرت العين بماء منهمرٍ غزير ، وقد كانت مثل الشراك تبض ، أي تسيل بماء قليلٍ جداً ، بعد أن غسل الرسول ـ ﷺ ـ يديه الشرفتين ، ووجهه الشريف ، في الماء القليل ، الذي غرفوه بأيديهم . وفي هذا دلالة واضحة ، ومعجزة جلية ، له ـ ﷺ ـ .

المعجزة الثالثة :

والتي ادخرها الله لنا ، وللأجيال التي ستدرك ذلك الحدث ، وتشاهده حقيقة . هي المعجزة التي نحن بصددها ، وهي " **عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً** " . فيما قاله النبي ـ ﷺ ـ لمعاذ بن جبل : " **يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جناناً** " وفي الرواية الأخرى : " **قد عاد جناناً** " .

هذا النص فيه دلالة واضحة أن جزيرة العرب ، وخصوصاً أرض تبوك ، ستكون في يومٍ ما مروجاً وجناتٍ خضراء ، وأن هذا اليوم قد أوشك قريباً جداً . يوحي به لفظ " **يوشك** " و جملة " **إن طالت بك حياة** " .

والدلالة الأخرى التي دل عليها النص : في الفرق بين هذه الرواية ، والتي قبلها، وهي : لفظة " عاد " بدل لفظة " ملئ " والتي تدل الأولى : أن هذا المكان قد كان فيما مضى جناناً ، وأنها توشك أن تعود كذلك قريباً ، وتدل اللفظة الأخرى : أن ذلك المكان سيمتلئ جناناً ، ويدل اللفظ على وفرة النباتات والأشجار والبساتين التي تستلزم وجود الأنهار والعيون والأمطار . والتي ستغطي وجه المنطقة بالكامل .

وعلى العموم فإن هذا الحديث يؤكد الحديث السابق ويصدقه في دلالاته .

يقول النووي عند شرحه لهذا الحديث : " قوله ـ ﷺ ـ : " **قد ملئ جناناً** " ، أي : بساتين وعمران ، وهو جمع جنة ، وهو أيضاً من المعجزات [١] .

(١) شرح مسلم للنووي (١٥/٤١) .

المطلب الثالث

تغير المناخ وخروج المهدي

أحاديث المهدي :

وقد جاء في باب خروج المهدي ـ عليه السلام ـ أحاديث تدل على أن أرض العرب حينها ستكون مغطاة بالثلوج ، وقد رويت بروايات عديدة، في نحو ستين مصدراً ، نذكر هنا بعضها .

الحديث الأول :

عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **" يقتتل عند كنزكم ثلاثة ، كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى أحدٍ منهم ، ثم تطلع الرايات السود ، من قبل المشرق ، فيقتلونكم قتلاً ، لم يقتله قوم ، ثم ذكر شيئاً لا أحفظه ، فقال : فإذا رأيتموه فبايعوه ، ولو حبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي "** (١) .

الحديث الثاني:

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما نحن عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ أقبل فتية من بني هاشم ، فلما رآهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اغرورقت عيناه وتغير لونه . قال :

---

(١) إسناده صحيح . وقال الحاكم ، صحيح على شرط الشيخين " ووافقه الذهبي ، وقال في مصباح الزجاج : هذا اسناد صحيح رجاله ثقات (٤ / ٢٠٣) .وقد أعله الالباني بسبب عنعنة ابي قلابه ، قال : فإنه من المدلسين ، ولنكارة في متنه ، وهي لفظ " خليفة الله " قال إنها منكرة . ولكنه قال : " لكن الحديث صحيح المعنى دون قوله " فإنه خليفة الله المهدي " فقد أخرجه ابن ماجه (٢ / ٥١٧ ، ٥١٨) من طريق علقمة عن ابن مسعود مرفوعاً نحو رواية ثوبان،واسناده حسن بما قبله ، فإن فيه يزيد بن أبي زياد ، وهو مختلف فيه ، فيصلح للإستشهاد به ، وليس فيه ذكر خليفة الله ،ولا خراسان " كما بينه العلامة الالباني مفصلاً في السلسلة الضعيفة (٨٥) . وقد أعل الحديث بابن جدعان فإنه ضعيف،ولكن قد أورده الحاكم وابن ماجه والبيهقي كلهم من طريق سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان . وخالد الحذاء ثقة من رجال الصحيحين. والحديث أخرجه أحمد في المسند (٢٢٣٨٧) ، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة الحديث (٦/ ٥١٥-٥١٦) وأخرجه ابن ماجة (٤٠٨٤)، والحاكم(٤/ ٤٦٣-٤٦٤) .

فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه. فقال: "إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فَيُنْصَرُونَ، فَيُعْطَوْنَ ما سألوا، فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً كما ملئوها جوراً، فمن أدرك منكم فليأتهم، ولو حبواً على الثلج، فإنها رايات هدى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبي، فيملك الأرض، فيملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً"(١).

وفي رواية: "فمن أدركه منكم أو من أعقابكم، فليأت إمام أهل بيتي، ولو حبواً على الثلج"(٢).

وفي رواية: "فمن أدرك منكم ذلك الزمان فليجئهم، ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي"(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجة الحديث (٤٠٨٢)، بإسناد ضعيف، وقد ضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجة ٤٠٠٢، لضعف يزيد بن أبي زياد الكوفي، وقال في الزوائد: "إسناده ضعيف، لضعف يزيد بن أبي زياد الكوفي، وتعقبه الذهبي فقال: هذا موضوع. ورواه احمد بن أبي بكر بن اسماعيل الكناني "في مصباح الزجاجة" بهذا الإسناد وقال: "هذا إسناد فيه يزيد بن أبي زياد الكوفي مختلف فيه رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن معاوية بن هشام فذكره بإسناده ومتنه سواء ورواه أبو يعلى الموصلي ثنا محمد بن يزيد بن رفاعة ثنا أبو بكر بن عياش ثنا يزيد بن ابي زياد فذكره بزيادة ونقص الفاظ لكن لم ينفرد به يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم فقد رواه الحاكم في المستدرك عن طريق عمرو بن قيس عن الحكم عن إبراهيم به (مصباح الزجاجة: الحديث: ١٤٤٩).
ورواه الحاكم في المستدرك الحديث (٨٤٣٤). قلت: قد رواه عن ابن مسعود اثنان هما علقمة بن قيس، وعبيده السلماني في طريق الحاكم، ورواه عن علقمة إبراهيم النخعي، ورواه عن إبراهيم اثنان: الحكم ابن عتيبة وهو ثقة، و ويزيد بن أبي زياد وهو ضعيف، ثم رواه عن الحكم عمرو بن قيس الملائي وهو ثقة، وابن أبي ليلى وهو ضعيف سيء الحفظ، ورواه عن يزيد بن أبي زياد، علي بن صالح، وأبو بكر بن عياش، وجرير ابن عبد الحميد وغيرهم. ورواه عن عمرو بن قيس الملائي، حيان بن سدير.
وهذا الحديث يتقوى بالمتابعات والشواهد لاسيما حديث ثوبان السابق، لا سيما هذا النص "ولو حبواً على الثلج" فإنه ورد في الحديثين في معظم الروايات إن لم يكن جميعها، وهذا هو الشاهد في الموضوع.

(٢) هذه رواية الحاكم الحديث (٨٤٣٤).

(٣) هذه من رواية عبد الله بن داهر الرازي وهو ضعيف، أوردها الذهبي في لسان الميزان عند ترجمته له (٣٠/٢٨٢).

دلالات الحديثين :

فيها قول النبي - ﷺ - في باب ظهور المهدي - عليه السلام -: " **فإذا رأيتموه فبايعوه ، ولو حبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي** " . وفي رواية : " **فمن أدركه منكم أو من أعقابكم ، فليأت إمام أهل بيتي ، ولو حبواً على الثلج** " . وفي رواية : "**فمن أدرك منكم ذلك الزمان فليجئهم ،ولو حبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي**" .

والحبو : هو المشي على اليدين والركبتين، وذلك صعب جداً ، سيما على الثلج ، لكن يكون سهلاً في طاعة الله عز وجل "[١] .

يقول السيوطي عند شرحه للحديث في سنن ابن ماجة : " ولو حبوا على الثلج الحبو أن يمشي على يديه وركبتيه وذلك صعب جداً سيما على الثلج ، أي يأتيه الإنسان ولو بلغه أشد الصعوبات "[٢] .

والشاهد في الحديث : قوله - ﷺ - : " **ولو حبواً على الثلج** " وقد وردت هذه الجملة بهذا اللفظ ، في حديث عبد الله بن مسعود ، وثوبان رضي الله عنهما .

فإن كان المعنى المراد من هذه الجملة ، هو الحقيقة ، فمعناه : أن مكان وزمان خروج المهدي - عليه السلام - سيكون فيه ثلوج كثيفة ، هذا إذا كان المعنى من الحديث هو الظاهر .

ولكن قد يقال: أن المراد منه معنىً مجازي ، وهو وجوب إتيان المهدي - عليه السلام - والانضمام إلى جيشه ، لأن ذلك هو فريضة الوقت يومئذٍ ، ولو كان هذا المجيء ، حبواً على الثلج؛ فاستخدم كلمة الثلج من باب الاستعارة ،كناية عن صعوبة المجيء ، ووعورته ومشقته ، زيادة في المبالغة والتأكيد ، على المبادرة لمبايعته واللحاق به .

---

(١) علامات القيامة لابن كثير (٣٢) ، وانظر شرح ابن ماجه (٤ / ٤١٢) ، للإمام / ابي الحسن الحنفي المعروف بالسندي . تحقيق : الشيخ / خليل مامون شيحا ، دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ١٩٩٦م

(٢) شرح ابن ماجه (١ / ٣٠٠) ، للإمام / السيوطي وآخرون .

ولكن قد يقال هذا ، إذا وجدت قرينة صارفة للمعنى الأصلي الظاهر من النص ، إلى المعنى المجازي ، إذ لا يتحول من الحقيقة إلى المجاز ، إلا لقرينة قوية ، صارفة عن إرادة المعنى الأصلي ،الذي وضع له اللفظ، إلى المعنى المجازي الذي دلت عليه القرينة .

وهنا احتملت القرينة ، ولا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذر حمله على الحقيقة ، لأن الأصل في الكلام الحقيقة ، كما هو مقررٌ في الأصول [١] ، وهو غير متعذر هنا .

وعلى إرادة المعنى الأصلي في الحديث ، دون المعنى المجازي ، يكون فيه إشارة ظاهرة ، ودلالة صريحة : أن الثلوج والجليد سيغطي المنطقة، التي يكون فيها المهدي ، والتي تشير إلى أن خراسان التي تقع في دوائر العرض نفسها ، مع شمال جزيرة العرب ستكون مروجاً وأنهاراً .

وعليه فإن زمان المهدي ـ عليه السلام ـ سيكون زمان ازدهار ورخاء ، لاسيما إذا فسرنا هذا الحديث والأحاديث التي أوردناها قبله ، بما ورد من الأحاديث الناطقة ، بأن السماء تنزل رزقها ، والأرض تخرج بركتها ، ويفيض المال ، حتى لا يقبله أحد . وغير ذلك . فقد وردت بذلك أحاديث تقوي مُا نحن بصدده من تغير الأحوال ، التي يلزم منها تغير المناخ في أرض العرب .

منها :

[١] ما رواه مسلم في صحيحه[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " **لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه ، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً** " .

[٢] مارواه ابن ماجة في سُننه :عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " **ثم يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع وإلا فتسع فتنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط ، تؤتى أكلها ، ولا تدخر منهم شيئا ، والمال يومئذ كدوس ،**

---

(١) انظر : القواعد الفقهية ، د . عبد الكريم زيدان (١٤ ، ١٥) .

(٢) تقدم تخريجه .

فيقوم الرجل فيقول : يا مهدي أعطني فيقول : خذ" [١] .

[٣] ما رواه الإمام أحمد وأبو داود [٢]، من حديث أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَ ـ ﷺ ـ قال : " **إن من أمرائكم أميراً ، يحثوا المال حثواً ولا يعده عداً ، يأتيه الرجل يسأله ، فيقول : خذ ، فيبسط ثوبه فيحثو فيه** " وبسط رسول الله ـ ﷺ ـ ملحفة غليظة كانت عليه ، يحكي صنع الرجل ، ثم جمع إليه أكنافها قال : " **فيأخذه ثم ينطلق** " .

[٤] ما رواه مسلم في صحيحه[٣] عن أبي سعيد وجابر بن عبد الله ، قالا : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " **يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يَعُدُّهُ** " .

[٥] ما رواه مسلم في صحيحه[٤] ، عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " **من خلفائكم خليفة يحثو المال حثياً ، لا يعده عدداً** " .

[٦] ما رواه مسلم في صحيحه[٥] من حديث أبي جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن النبيَ ـ ﷺ ـ قال : " **يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً ، لا يعده عدداً** "، قال : قلت لأبي نضرة وأبي علاء : أتريان أنه عمر بن عبد العزيز ؟ فقالا : لا " .

[٧] ما رواه البخاري في صحيحه[٦]،من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : " **لا تقوم الساعة ..... حتى يكثر فيكم المال ، فيفيض حتى يُهِمَ رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه ، فيقول الذي يَعرِضُهُ عليه : لا أَرَبَ لي به ، ... الحديث** ") .

---

(١) الحديث رقم (٤٠٨٣) ، وهو حديث حسن حسنه الالباني في صحيح ابن ماجه الحديث (٤٠٨٣) ، وحسنه في الروض النضير (٦٤٧) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده الحديث رقم (٣ / ٩٨) .

(٣) الحديث رقم (٧٢٤٧) ، من باب : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى ان يكون مكان الميت من البلاء ، كتاب / الفتن واشراط الساعة .

(٤) الحديث رقم (٧٢٤٦) في الموضع السابق .

(٥) الحديث رقم (٧٢٤٤) ، في الموضع السابق .

(٦) الحديث رقم (٦٧٠٤) ، باب : خروج النار ، من كتاب الفتن .

[٨] ما رواه الإمام أحمد في مسنده[١] ، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : " **لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ، فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل منه صدقة ماله .. الحديث** " .

[٩] وفي حديث النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ الطويل عند مسلم وغيره[٢] ، فيه قول النبي ـ ﷺ ـ : " **ثم يرسل الله مطراً ، لا يكن منه بيت مَدَرٍ[٣] ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة[٤] ، ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، وردي بركتك ، فيومئذٍ تأكل العصابة[٥] من الرُمانة ، ويستظلون بقحفها[٦] ، ويُبَارَك في الرِسْلِ[٧] ، حتى أن اللقحة[٨] من الأبل لتكفي الفئام[٩] من الناس ، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[١٠] من الناس** " .

---

(١) الحديث رقم (٢/٣١٣) .

(٢) الحديث عند مسلم رقم (٧٢٩٩)، في باب: ذكر الدجال وصفته وما معه ، من كتاب / الفتن وأشراط الساعة . وأخرجه أبو داود في كتاب الملاحم والفتن ، باب : خروج الدجال الحديث رقم (٤٣٢١) ، وأخرجه الترمذي في كتاب/ الفتن ، باب: ما جاء في فتنة الدجال، الحديث رقم (٢٢٤٠) ، وأخرجه ابن ماجة في كتاب / الفتن ، باب : فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج ياجوج وماجوج الحديث رقم (٤٠٧٥، ٤٠٧٦) .

(٣) أي : لا يمنع من نزول الماء بيت . والمدر : بفتح الميم والدال ، وهو : الطين الصلب . (شرح مسلم للنووي : (١٨ / ٢٧٢) .

(٤) ويقول الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث : (قوله ـ ﷺ ـ : " **فيغسل الأرض حتى يتركها كالزُلْقَة** " . روي بفتح الزاي ، واللام ، والقاف . وري الزلفة : بضم الزاي ، وإسكان اللام ، وبالفاء . وروي الزلفة : بفتح الزاي ، واللام ، وبالفاء .

واختلفوا في معناه : فقال ثعلب ، وأبو زيد ، وآخرون معناه: كالمرآة .وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس ايضاً ، شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها . وقيل : كمصانع الماء ، أي: أن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقال أبو عبيد معناه : كالإجانة الخضراء ، وقيل : كالصفحة. وقيل : كالروضة (١٨ / ٢٧٢).وكل هذا صحيح فهي كالمرآة: من نظافتها وصفائها وكثرة مياهها ومستنقعاتها ورياضها ، والله أعلم .

(٥) الجماعة .

(٦) بكسر القاف ، هو : مقعر قشرها شبهها بقحف الرأس ، وهو فوق الدماغ . وقيل : ما انفلق من جمجمته ، وانفصل .

(٧) هو اللبن .

(٨) القريبة العهد بالولادة .

(٩) الجماعة الكثيرة .

(١٠) الفخذ : الجماعة من الأقارب ، وهم دون البطن ، والبطن دون القبيلة .

فهذه الأحاديث ولو لم يكن فيها دلالة صريحة ، على تغير المناخ ، وعودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، لكن مفاهيمها ومعانيها ، تعتبر شواهد قوية ، على تغير الأحوال المناخية ، والأوضاع الاقتصادية ، وكثرة الخيرات ، والبركة في الضروع والزروع والثمار ، وما يلزم ذلك من كثرة الأمطار وتغير المناخ ؛ كما هو معلوم .

يقول ابن كثير عن المهدي عند ذكره لبعض هذه الأحاديث :

(وفي زمانه تكون الثمار كثيرة ، والزروع غزيرة ، والمال وافر ، والسلطان قاهر ، والدين قائم ، والعدو راغم ، والخير في أيامه دائم)[١] .

ويقول الإمام النووي عند شرحه لبعض تلك الأحاديث :

(والحثو هو الحفن باليدين ، وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال ، والغنائم ، والفتوحات مع سخاء نفسه)[٢] .

(١) علامات يوم القيامة لابن كثير (٣٢) .

(٢) شرح مسلم للنووي (٢٤٦، ٢٤٧) .

المبحث الثاني

الشواهد القرآنية

هنالك عدة شواهد من القرآن الكريم، تدل على أن أرض العرب كانت في الماضي، مروجاً وأنهاراً. منها:

ما ذكره القرآن من الجنات والعيون والزروع والنخيل، التي أنعم الله بها على قوم عاد[1]، قوم هود -عليه السلام-، أهل عاد والأحقاف، في اليمن في سورة الشعراء. قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) ﴾ [الشعراء : ١٣٢-١٣٤] .

---

(١) عاد اسم رجل ثم استمر اسماً لقوم انتسبوا إليه، فقيل قوم عاد، وهم من أمم العرب العظيمة البائدة، وكانوا يسكنون الأحقاف وهي جبال الرمل قريباً من حضرموت متاخمة بلاد اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح. كما قال في سورة الأعراف: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد، والطول المديد، والأرزاق الدارّة، والأموال والجنات والأنهار والأبناء والزروع والثمار، وكانوا أصحاب حضارة، أسسوا أقدم مدينه عرفها العالم، وكانت القصور الشامخة، والصروح العظيمة، أكبر مظهر لتقدمها، قال تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) ﴾[الشعراء ١٢٨-١٣٠]، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) ﴾ [الفجر:٦-٨]، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه، فبعث الله هوداً إليهم، رجلاً منهم رسولاً وبشيراً ونذيراً، فكذبوه وكفروا به، قال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) ﴾ [الأعراف : ٦٥-٦٨] .

فاهلكهم الله بريح صرصر عاتية، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) ﴾ [الحاقة : ٦-٧]. وهؤلاء هم عادٌ الأولى، ونجى الله هوداً والذين آمنوا معه، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) ﴾ [هود : ٥-٨]. (وهؤلاء هم عادٌ الثانية). انظر: [تفسير القرطبي ٩ / ٥٠ وانظر ٢٠ / ٤٥]، وانظر: آثارهم في مبحث " المكتشفات العمرانية في الجزيرة العربية " من هذا البحث ص ٩١ .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري في باب : قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [هود:٦٥] ، وعند قوله: ﴿ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ [الأحقاف : ٢١] ، : (أن الأحقاف ، جمع حقف ، بكسر المهملة ، وهو المعوج من الرمل ، والمراد به هنا : مساكن عادٍ ، وروى عبد بن حميد ، من طريق قتادة : أنهم كانوا ينزلون الرمل ، بأرض الشحر وما والاها ، وذكر ابن قتيبة أنهم كانوا ثلاثة عشر قبيلة ، ينزلون الرمل بالدو والدهناء وعالج ووبار وعمان إلى حضرموت وكانت ديارهم أخصب البلاد ، وأكثرها جناناً ، فلما سخط الله جل وعلا عليهم جعلها مفاوز " [1] .

يقول القرطبي في تفسيره : " وروي أنه كان لعاد إبنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة ، فقال أبني مثلها فبنى إرم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ولما تم بناؤه سار إليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة ، بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا "[2] .

وقال عن ثمود أصحاب الحجر[3] ، قوم صالح ـ عليه السلام ـ : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا

---

(١) فتح الباري : (٦ / ٣٧٧) .

(٢) تفسير القرطبي (٢٠ / ٤٧) .

(٣) ثمود من قبائل العرب العاربة ، قبل إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وسموا باسم جدهم ثمود،وكانت مساكنهم بالحجر ، ومساكنهم معروفة مشهورة ، فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى ، وما حوله ، وقد مرّ رسولنا ﷺ على ديارهم ومساكنهم ، وهو ذاهب إلى تبوك ، في السنة التاسعة للهجرة ، قد أرسل الله تعالى إلى ثمود رسولاً منهم ، وهو صالح عليه السلام ـ فامرهم بعبادة الله وحده وترك عبادة الاصنام ، التي كانوا عليها ، فلم يؤمن له منهم إلا القليل ، ثم إنهم قتلوا الناقة ، التي حذرهم صالح من أن يمسوها بسوء ، فياخذهم عذاب اليم ، فاهلكهم الله بذنوبهم ، ونجى الله صالحاً ومن آمن معه . [تفسير ابن كثير (٣ / ٣٥٥)] ، وتفسير المنار (٨ / ٥٠١) وتفسير الطبري (٣٠/ ١٧٧) .

هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) ﴾ .

[الشعراء:١٤٦-١٤٨] .

فلربما كانت هذه الأحوال في فترة كانت فيها أرض العرب مروجاً وأنهاراً.والله أعلم.

وقد ذكرت مدينة إرم وسكانها قوم عاد في القرآن الكريم في أكثر من آية ؛ فلقد ذكر لنا القران الكريم قصة سيدنا هود مع قومه في منطقة تسمى الأحقاف.. والأحقاف تعني جبال الرمل وهي في منطقة بين حضرموت في اليمن وعمان .

وبعد أن كذبوه أهلكهم الله بريح شديدة البرد استمرت عليهم ثمانية أيام حتى لم يبقى منهم احد واسم المدينة التي عاشوا فيها هي أرم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) ﴾ .

[الفجر : ٦-٨] .

" وقيل ذات العماد أي ذات الأبنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور قال إبن زيد : ذات العماد يعني إحكام البنيان بالعمد وفي الصحاح والعماد الأبنية الرفيعة " [1] . وقد سبق أن رأينا وصف تلك العمد في عند الحديث عن مدينة إرم في " المكتشفات الأثرية في الجزيرة العربية " .

وجاء ذكر قوم عاد ومدينتهم إرم في سورتين من سور القرآن الكريم سميت إحداهما باسم نبيهم هود -عليه السلام- وسميت الأخرى باسم موطنهم الأحقاف،وفي عشرات الآيات القرآنية الأخرى التي تضمها ثماني عشرة سورة من سور القرآن الكريم.

وذكر قوم عاد في القرآن الكريم يعتبر أكثر إنبائه بأخبار الأمم البائدة إعجازاً، وذلك لأن هذه الأمة قد أبيدت إبادة كاملة بعاصفة رملية غير عادية.. طمرتهم وردمت آثارهم حتى أخفت كل أثر لهم من علي وجه الأرض ،وبسبب ذلك أنكرت الغالبية العظمي من الأثريين والمؤرخين وجود قوم عاد ، واعتبروا ذكرهم في القرآن

(١) تفسير القرطبي (٢٠/٤٥-٤٦) .

الكريم من قبيل القصص الرمزي لاستخلاص العبر والدروس ، بل تطاول بعض الكتاب فاعتبروهم من الأساطير التي لا أصل لها في التاريخ ، ثم جاءت الكشوف الأثرية في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين بالكشف عن « مدينة إرم » في صحراء الربع الخالي في ظفار ١٥٠ كيلو متر شمال مدينة صلالة جنوب سلطنة عمان وإثبات صدق القرآن الكريم في كل ما جاء به عن قوم عاد ، وانطلاقا من ذلك فسوف يقتصر الحديث هنا علي هذا الكشف الأثري المثير الذي سبق وأن سجلته سورة الفجر في الآيات ٦–٨ من قبل ألف وأربعمائة من السنين ، وإن دل ذلك علي شيء فإنما يدل علي حقيقة أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق ، الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله ،وحفظه لنا بنفس لغة وحيه التي أوحي بها (اللغة العربية) فظل محتفظا بصياغته الربانية ، وإشراقاته النورانية ، وبصدق كل حرف وكلمة وإشارة فيه .

وفي تفسير ماجاء عن (قوم عاد) في القرآن الكريم نشط أعداد من المفسرين والجغرافيين والمؤرخين وعلماء الأنساب المسلمين ، من أمثال الطبري ، والقرطبي ، والسيوطي ، والقزويني ، والهمداني ، وياقوت الحموي ، والمسعودي في الكشف عن حقيقة هؤلاء القوم ، فذكروا أنهم كانوا من (العرب البائدة) وهو تعبير يضم كثيرا من الأمم التي اندثرت قبل بعثة المصطفى ـ ﷺ ـ بمئات السنين ، ومنهم قوم عاد ، وثمود ، والوبر وغيرهم كثير. وعلموا من آيات القرآن الكريم أن مساكن قوم عاد كانت بالأحقاف (جمع حقف أي: الرمل المائل)، وهي جزء من جنوب شرقي الربع الخالي بين حضرموت جنوبا ، و الربع الخالي شمالا ، وعمان شرقا ، أي ظفار حاليا ، كما علموا من القرآن الكريم أن نبيهم كان سيدنا هود ـ عليه السلام ـ ، وأنه بعد هلاك الكافرين من قومه سكن نبي الله هود أرض حضرموت حتى مات ودفن فيها قرب (وادي برهوت) إلى الشرق من مدينة تريم .

أما عن ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ فقد ذكر كل من الهمداني « المتوفي سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٦م » وياقوت الحموي « المتوفى سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م) ، أنها كانت من بناء شداد بن عاد واندرست « أي: طمرت بالرمال » ومحيت ، فهي لا تعرف الآن ، وإن ثارت من حولها الأساطير ؛ ولم يستطع أحد اكتشاف تلك المدينة التي ذكرها القران الكريم والتي يحكي عنها البدو كثيراً ، حتى مطلع القرن العشرين حينما ذهب بعض علماء الآثار للتنقيب في منطقة صحراوية بعمان ، فعثروا على بعض آثار تلك المدينة التي تسمى آثارها اليوم بأوبار.

وكل ما نشر يؤكد صدق ما جاء بالقرآن الكريم عن قوم عاد ومدينتهم إرم ذات العماد بأنهم :

[١] كانوا في نعمة من الله عظيمة ولكنهم بطروها ولم يشكروها ووصف بليني الكبير لتلك الحضارة بأنها لم يكن يدانيها في زمانها حضارة أخري كأنه ترجمة لمنطوق الآية الكريمة ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ .

[٢] أن هذه الحضارة قد طمرتها عاصفة رملية غير عادية وهو ما سبق القرآن الكريم بالإشارة إليه .

[٣] أن هناك محاولات مستميتة من اليهود لتزييف تاريخ تلك المنطقة ونسبة كل حضارة تكتشف فيها إلي تاريخهم المزيف ، ولذلك كان هذا التكتم الشديد على نتائج الكشف حتي يفاجئوا العالم بما قد زيفوه ، ومن ذلك محاولة تغيير اسم (إرم) إلى اسم عبري هو أوبار[1] (Ubar) .

(١) بل قد ذكرها ابن حجر العسقلاني في الفتح بلفظ « وبار » ، انظر : الشواهد القرآنية من هذا المبحث .